الدكتور : عبد القادر العربي /جامعة محمد بوضياف المسيلة/

المحور الخامس: مقاربة المنهج البسيكولوجي

عنوان المداخلة: صراع الأنا بين الرفض والإقرار في رواية (اعترافات زوجة إرهابي لـــــــــ : باية قاسمي

لقد ظهرت مدارس عديدة في النقد إلى درجة وصفها ت، س، إليوت عام 1919 م بالفوضى ، غير أن تلك المدارس على تعداد مشاربها ومناهلها والتضارب الظاهر بين وسائلها وأهدافها ، نشأت من مصدر واحد وهي تمثل اتجاها معينا وإن تنوعت مظاهرها ، ونقصد بهذا المصدر الحركة الرومانتيكية التي انبعثت منها ولونت بها معظم الأعمال الأدبية والفنية في القرن التاسع عشر ، وإذا كان الأدب تعبيرا عن الفرد فإن النقد – كذلك – تعبير عن الناقد ، أي أنه عمل إنشائي خلاق لا يختلف عن الأدب في شيء ، ومن هنا نشأت مدرستان كبيرتان من مدارس النقد كان ولا يزال لهما تأثير كبير وهما المدرسة الانطباعية والمدرسة السيكولوجية ، هذه الأخيرة التي تمثل قطب رحى دراستنا هذه ، والمنهج النفسي في النقد هو تلك الآليات والأدوات الإجرائية التي يعتمدها الناقد في فهم أسرار الأدب ودراسته ، مرتكزا على نظريات علم النفس التي جاء بها سيجموند فرويد وتبعه فيها عدد من علماء النفس ، ولم يخل النقد العربي القديم من بعض نظرات تدل على خبرة العرب النفسية بالشعر ، ونشير في هذا السياق إلى اتخاذ ابن قتيبة من الطبع ركيزة أساسية للحكم على تبيان الشعراء وتمايزهم ، وهذا في حد ذاته يعد من الإرهاصات الأولى للخبرة بالبواعث النفسية في النقد ، يقول ابن قتيبة في هذا الشأن : (وللشعر دواع تحث البطيء وتبعث المتكلف ، منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب) .1

غير أن حضور هذا المنهج فعليا قد كان في النقد الأدبي الغربي الحديث ، بعد أن تعرف فرويد إلى أهمية منطقة (اللاشعور) في عملية الإبداع الفني ، بعد أن تناول بالتحليل والنقد أعمالا أدبية خالدة وفنانين عظاما . 2 ، لقد نظر أصحاب المنهج النفسي إلى الدوافع اللاواعية نظرة أكثر تقديرا لأنها تكشف عن التعبير الرمزي وتتخذ شكلا غامضا حتى على المبدع ذاته ، ومن هنا ركزت بعض مدارس التحليل النفسي وبخاصة مدرسة فرويد على الدوافع الجنسية والكبتية والعصابية وكلها حسب رأيهم دوافع لا واعية تؤثر في الإبداع وتشكيله على وفقها.

كان ظهور المنهج النفسي في النقد بفضل اسهام طرفين من العلماء أولهما : علماء النفس ، و ما جاؤوا به من دراسات نفسية حديثة ، وثانيهما النقاد وباحثوا الأدب ، الذين وجدوا أمامهم هذا الكم الهائل من المعلومات التي تعينهم على تفسير عملية

الخلق الفني بعامة ، وتهيئ لهم وسيلة للكشف عن الأثر الأدبي ، بالإشارة إلى حياة صاحبه أو العكس ، أو تعينهم على جلاء المعنى الحقيقي في نص ما . 3

لم يكن يخطر ببال فرويد – ومن تبعه من علماء النفس – ايجاد منهج نفسي للنقد الأدبي ، لكن إسهامهم جاء بطريقة غير مباشرة من خلال التراكم المعرفي ، لقد كان ميل فرويد الطبيعي إلى الأدب ، مضافا إلى رغبته في الدفاع عن علم النفس التحليلي – الذي أتهم بأنه أوهام لا معنى لها – من الأسباب القوية التي جعلت فرويد يهتم بالكتاب وكتاباتهم ، إن السؤال الجوهري الذي يطرح نفسه بحدة هو كيف للأديب أن يتمثل نظريات علم النفس وسيطبقها في نتاجه الأدبي ؟ وللإجابة على هذا السؤال انتقيت رواية جزائرية لكاتبة محلية هي (باية بلقاسمي) .

رواية (اعترافات زوجة إرهابي) الصادرة عن منشورات الخبر للصحفية (باية بلقاسمي) طبعة ألفين ، ترجمة (كريمة آيت محند) ، وجه الغلاف أسودا تبرز منه عينين سوداوين تلهب نارا في ظلام دامس تملؤه دموية العنوان والمكان والزمان ، اختيار الاسم (نادية) عمرها اثنان وعشرون ربيعا وأم لطفل عمره عام ونصف ، غياب زوجها (أحمد) عاما ونصفا والتحاقه بجماعة إرهابية يوحي بالقتل والتنكيل وكل ما هو سلبي ، عبء ثقيل على العائلة ورفض من جميع أطياف المجتمع (كراهية ، رفض ، ازدراء ...) ، الزوجة خائفة تترقب كل معلومة مفرحة عن زوجها حتى تتحرر من ضغط المجتمع ، ونتيجة حبها لزوجها ووفائها له لم تكترث لما كان يقوله المجتمع ، ولم تقطع علاقتها به وهي تتلقى الضربات والنظرات الحادة والكلام الجريح وكلها صمتا وتجلدا ، (صدقت نادية بسذاجتها أنها زوجة الأمير وأم المؤمنين ولكن سرعان مازالت الغشاوة وانقشعت الفرحة عندما وجدت نادية نفسها بدون مأوى ، دائمة البحث عن سقف يحميها ، مرفوضة من الجميع حتى أولئك الذين اعتبروها إلى وقت قريب سيدتهم بلا منازع ، فانهارت كل أحلام القوة والمجد ..) 4

في فترة قصيرة استرجعت نادية كل همسة ولمسة وفرحة وحزن وتشرد وضياع وتغيير للزمان والمكان في نفسيتها المتألمة والمضطربة ، هذه المعاناة جاءت على لسان أنثى عانت كل الويلات ، امرأة من الزمن اللاإنساني بوحشية يصعب تصديقها ، ولكن عندما يعرف السبب يبطل العجب ، كون أحمد سيتولى إمارة الأمة الموعود بها من بعض الشرذمة المغرر بها خرجت عن طوع المجتمع وناصبته العداء واعتبرته عدوا لدودا ، ولأجل ذلك كله أسقط كل الشعارات الزائفة التي تغنى بها المجتمع المدني يوما ما ، فمن الصعب أن ينسى المرء تفاصيل وملامح الوجوه والأمكنة ومن النادر أن يمحي شروخا مزقت فؤاده وسحقت كرامته ودمرت كبرياءه وتسببت في اضطراب نفسيته وأفقدته الإحساس بالأمان في الذين من حوله

حتى أقرب المقربين إليه ، فتزعزع كيانه لأن هذا كله يسكن في اللاشعور وتعيده الذاكرة عند الاستحضار ويدركه الإدراك في حينه بكل معاناته .

نادية أغرمت بأحمد قبل توجهه وانخراطه في جماعة إرهابية خارجة عن قوانين الدولة ومعادية لتوجهات أبناء المجتمع ، فكانت تلك النقطة الفاصلة بين الحياة والموت ، وكان تغيير المسار من السلم والأمان إلى الحرب والفوضى والمطاردة والخوف وانتظار المجهول ، فكان حب نادية لأحمد يتحدى كل الأعراف ؛ كان هياما وعشقا أبديا لشخص هو الحب الأول والأخير في حياة نادية ، فتقاليد المجتمع البالية أحيانا تقيد فكر ومواقف بعض الأشخاص ، فالتقاليد لها حكمها والعار والفضيحة لها سلطتها والفتاة بين سلطان القلب والعقل وسلطة العرف ، فأحلام (نادية) لم تتعد سياج الحب ، وهي تحمل حبها في أعماقها وكانت تتمنى أن تعيش حياة رغيدة هنيئة فيها من المسرات الكثير وأحلامها كلها وردية ، كانت تتصور المستقبل زاهرا ومورقا لكن ليس كل ما يشتهيه الإنسان يدركه فهناك المنغصات ، كانت تحلم ببيت وأولاد لا يكدر صفو حياتهم شيئا في هذه الدنيا ، أحمد ونادية كانا يعيشا في قرية من قرى هذا الوطن المترامي الأطراف ونحن نعرف ما للقرية من سلطة على أبنائها ومن رقابة مشددة على كل صغيرة وكبيرة ، فرواية اعترافات زوجة إرهابي تعرضت لحياة أحمد الطفولية من المولد إلى غاية التحاقه بالجماعة الإرهابية ومغادرة حيه وأهله وذويه ، وقطع الصلة بهم نهائيا نتيجة تورطه في عمليات قتل وتشنيع بسكان قريته وكيف فعلت الأيام فعلتها في براءة أحمد وسمو أخلاقه قبل دخوله مرحلة الظلمات ودهاليز الفتنة التي أتت على كل شيء ، فأحمد حسب أحداث الرواية طفل عانى اليتم وشظف العيش وقساوة التربية من زوجة والده التي كانت سببا غير مباشر لدفعه للانخراط في الجماعة الإرهابية ، نتيجة ما كان يلقاه داخل أسوار بيت والده ، الذي صار بالنسبة له جحيما لا يطاق والشارع أرحم وأرحب من زوجة أب لا رحمة ولا شفقة في قلبها وكم من الشباب عانى ما عاناه أحمد فكان مصيره إما الرذيلة وإما الانخراط في الجماعات المسلحة ، فقد كتم أحمد كل مكبوتاته في منطقة اللاشعور (الباطن) ، ولكنه ظل يتحين الفرصة للخروج من هذه الوضعية التي أرغم على العيش فيها وفرضت عليه فرضا ، وشياطين الإنس يتربصون بأحمد وأمثاله الدوائر ويصطادون في المياه العكرة ، فكل شاب يختنق ظلما من أسرته ولا يجد مأوى هم يسعون لترويضه والتأثير عليه وإغرائه بكل الملذات حتى يجذبوه إليهم ويشركوه في جرائمهم ضد المجتمع ، إن شخصية أحمد لم تتسم بالثبات يوما ما نتيجة وضعه العائلي المزري ، ولذا لم يستطع التكيف والتوافق مع أبناء جلدته وأترابه حتى لما كان في مراحل المدرسة الأولى كان انطوائيا وحزينا طول الوقت ولم يقدر ذلك أحد من المقربين له ، كان يعيش معهم بجسده ولكن ذهنه وتفكيره مخالف للجميع فكل التصرفات والمواقف التي يظهرها المجتمع يكون تأثيرها سلبيا على شخصية أحمد ولعل أهم التفسيرات

التي يقدمها علماء النفس في مفهوم الشخصية هو ما قاله (بيرت): (هي ذلك النظام الكامل من النزعات الثابتة نسبيا ، الجسمية والنفسية والتي تميز فردا معينا والتي تقرر الأساليب المميزة لتكيفه مع بيئته المادية والإجتماعية) .

لقد أفسد أفراد المجتمع طباع أحمد في صغره إذ تعلم كل أنواع الرذيلة من أصغرها إلى أكبرها فتولد في ذاته شيئا سلبيا وصار يزدري كل أفراده ، لأنه لم يتعلم يوما ما أشياء إيجابية تحثه على حب الوطن والمجتمع وكل ما هو جميل ، لقد أثبت عالم النفس (ايزنك)، أن الشخصية أو بناء الشخصية يأخذ مفهوم (البعد) .

البعد الأول : الانبساط /الانطواء

البعد الثاني : الاتزان وعدم الاتزان

فالشخصية المتكاملة هي التي يكون فيها الجسم سليما والتربية العقلية والوجدانية والاجتماعية متكاملة ، وهذا ما تفتقده شخصية أحمد من الانبساط إلى الانطواء ومن شبه الاتزان إلى عدم الاتزان ، وهذا كذلك ما تثبته نظرية الأنماط المزاجية للطبيب النفسي (يونغ) السويسري ؛ وهو سيطرة الوظائف السيكولوجية على الشخصية (العاطفة ، والحدس ، والإحساس) .

فالعاطفة : تحاول أن تحقق الانسجام الداخلي بدون أن يراعى ما قد يكون للعوامل الخارجية من أثر .

الحدس : يلجأ إلى التخمين والإلهام في أحكامه .

الإحساس : يتأثر بعامل اللذة والألم .

إن عادات المجتمع وانغلاقه أحيانا كثيرة يؤدي إلى نتائج وخيمة على الجميع أفرادا وجماعات ، ذلك أن الزيادة في الاحتياط والتشدد من بعض الأمور تزيد الحالة بلة وتدخلها في دوامة حسابات غير مضبوطة سلفا ، فالحب ممنوع في العادات والأعراف الخارجة عن نطاق مؤسسة الزواج فهو العار والفضيحة ويجلب اللعنة لأصحابه و يا ويل من خرج عن طوق العادات والتقاليد ، لا شك أنه يجد الرفض المطلق دون تبرير ، فأحمد تقدم لخطبة نادية من أهلها على سنة الله ورسوله ولكن وجد مالم ينتظره ، إذ بمجرد علم والديها بعلاقته بها قبل التقدم لخطبتها حتى ثارت ثائرة الأسرة والأقارب رغم أنه حب عفيف لا تشوبه شائبة ، ورفضوا زواجها به مهما كانت المبررات ، ومورست كل أنواع التعذيب النفسي والقهري على نادية خاصة لأن أهلها ذهبت بهم الظنون إلى كل شيء سلبي ، وأعلنوها صراحة وجهرا لا يمكن أن يحدث زواج بمثل هذه الطريقة الغريبة عن أعراف القرية والبادية على الخصوص ، فتمت مقاطعة نادية من أهلها وصارت وحيدة إلا من مشاعرها وحبها لأحمد لكن تضحيتها ووفاءها لم يكونا في مستوى آمال الطرف الثاني (أحمد) الذي

في لحظة ما فكر فرديا ولم يبال بمشاعر الحبيبة ومعاناتها وتجلدها أمام الضربات النفسية بين الحين والآخر ، وكسر بخاطرها ولم يقف معها في محنتها العاطفية ولم يستطع مقاومة ذلك التيار الجارف والسيل المنهمر من عتابات الأهل والخلان ، وزاد من عمق المأساة طرد نادية من بيت والدها بسبب هذه الزلة العاطفية التي وقعت فيها ، فعاشت نادية في دوامة من المشاعر والأحاسيس بين الاستمرار في مقاومتها والدفاع عن ذاتها أمام المجتمع الظالم والمتسرع في اتخاذ الأحكام على الضعفاء ، من أمثال نادية وأحمد ، أم أنها تستسلم لواقعها وترضخ لسلطة المجتمع وتضيع أحلامها الوردية التي طالما حلمت بها وهي فتاة في مقتبل العمر بأن تكون زوجة صالحة وتكون أسرة وتعيش حياة رغيدة ، عنوانها الصدق والوفاء والاحترام والتعاون ، لكن ما ساعد والد نادية في اتخاذ قراره الجائر و الصادم هو التحاق أحمد بالجماعة الإرهابية ، فقد أعطى السكين التي يمكن أن تذبح بها نادية ذلك أن أحمد بعدما ضيق عليه أمر معيشته وصار منبوذا من الجميع أول ما فكر فيه هو الانتقام ممن كان سببا في تشرده وضياعه ، وأولهم زوجة أبيه التي جعلت منه بشرا عديم المشاعر الإنسانية تجاه الآخر فكم من مخلوق طيب جعل منه المجتمع إنسانا شريرا نتيجة معاملته بقسوة ، ثم الذين وقفوا سدا منيعا لتحقيق حلمه الأبدي وحالوا بينه وبين تعالق قلبين متحابين بصدق ، فقد انهارت كل القيم الإنسانية أمام أحمد بل زادته إصرارا وقسوة وطغيانا فأدمنت ذاته على تعذيب الآخرين وممكن سرقة أحلامهم من بين جفونهم وذواتهم ، لقد أعلنها أحمد حربا ضروسا على كل منغص للنعم ومفرق لكل علاقة حب نظيفة ، إن رواية اعترافات زوجة إرهابي فتحت لنا أبوابا للمتعة الفنية ، متعة مليئة بالتشويق والإثارة والبحث عن إجابات لكثير من الأسئلة المحيرة التي ستظل عالقة مدى الزمن ، وشاهدة على اغتيال الفضيلة في أسمى معانيها فهي ليست متاهة نبحث فيها عن منفذ للخروج ولا هي متعة نتلذذ بآلام أصحابها ، لقد عانت نادية أشد المعاناة ولكنها خرجت من محنتها سالمة غانمة ومدافعة عن شرفها الأصيل أمام من اتهموها بفساد الأخلاق وهي الطاهرة العفيفة لقد عاشت في دوامة الجنة الموعودة بها من أحمد وبين ذلك الأمل البعيد الذي ظلت تسعى في كد وجد لتحقيقه ، إن مأساة أحمد ونادية ليست هي الأولى ولن تكون الأخيرة فالمجتمع يعج بمثل هذه الحالات وما صار يعبر عنه اليوم في عالم الصحافة (كسر الطابوهات) وكشف المسكوت عنه فقد اعتقدناه بعيدا عنا فإذا هو في عقر دارنا ،فمن واجب كل واحد فينا أن يعالج الأمور مهما كانت في حدود العقل والمنطق وتقليبها على جهات عدة حتى لا نظلم أحدا ونكون سببا في إحداث الفرقة بين الناس ونندم حين لا ينفع الندم ، فهناك كثير من المظلومين والمظلومات في هذه الدنيا نتيجة وشاية من حاقد أو مريض نفسي ، خربوا بيوتا ومجتمعات لا لشيء إلا أنهم يتلذذون بتعذيب الآخر .

اعترافات زوجة إرهابي هي وقفة تاريخية لمرحلة لا إنسانية تركتها بصمات الجهل وعدم الإدراك الجيد بالعدالة الاجتماعية التي كانت سببا في كل الذي عانته الجزائر لسنوات وتجرعت مرارته أجيالا وأجيالا نتيجة تقدير غير صحيح من هذا الطرف أو ذاك الطرف وتعنت هذا وإصرار ذاك وكل يرى نفسه هو الصواب وغيره الخطأ ، فكلما انتشرت اللاعدالة وغياب دولة القانون وعدم ردع المعتدي وتكسير عظامه لن تقوم قائمة لأي مجتمع فالفقر والحرمان والتعسف في تطبيق الأحكام على جهة دون الأخرى يولد جميع الآفات الاجتماعية ، وكرة الثلج إذا لم توقفها لا شك أنها تزداد في حجمها ويأتي اليوم الذي تنفجر فيه ، وهذا الذي وقع في وطننا واختلط بسببه الحابل بالنابل وعمت الفوضى و أدلهمت الخطوب ولم يتبين لنا وجه الحقيقة ولم نهتد إلى المخرج الصحيح وبقينا نتخبط ردحا من الزمن ،هذه الأمور وغيرها تركت الفجوة تتسع وتكبر يوما بعد آخر ، ولو حاولت النفوس الخيرة احتواء الأمور من بدايتها ولم شمل الجميع لما عشنا وعانينا الذي عانيناه ، اعترافات زوجة إرهابي تركت ندوبا لا تندمل بسرعة لأن الجروح كانت داخلية وصعب على الجرح الداخلي الشفاء منه بسرعة لأن الذي جرح هم أولو القربى و ما أشد ظلم ذوي القربى ، فأزمتنا تركت كثيرا من المشردات واليتامى والمحرومين وأكثر من هذا جعلتنا نبحث عن الحل المفقود والثقة بالنفس التي اهتزت في لحظة ما ، لقد نادى الجميع (عشر سنين بركات) لقد ظلت جراح الجزائريين مفتوحة ولم تندمل بعد فكفى هذا الشعب المسكين جراحا وويلات وندوب ، إنه مجتمع وشعب يبحث عن الراحة الأبدية التي حلم بها منذ زمن بعيد ، فنادية كسر خاطرها وعاقبها المجتمع بما فيه الكفاية ولكن حققت ما كانت تؤمن به وصدقت نبوءتها العاطفية وتزوجت بأحمد وأنجبت منه طفلا جميلا بهيا لتثبت لمن كان شاكا في عفتها وإخلاصها بأنها على العهد باقية وللميثاق الغليظ وفية ، فالخطأ عندها صوابا والصواب عندها أصبح خطأ وشتان بين الأمرين وكيف ستعيش حياتها بعد غياب زوجها وكيف تقاوم نظرات الآخرين اللاسعة فهي تتعذب في اليوم ألف مرة ومرة

هذه الرواية تُعدّ تجسيدا لأدب الأزمة؛ أي الكتابة عن الإرهاب وعن فترة حرجة عاشتها الجزائر، تمثلت في صعود الإسلام السياسي الراديكالي، ثمّ تحوّله إلى ظاهرة شعبوية، ثم الحرب العنيفة وغير المسبوقة، التي تمثّلت في العمل المسلح، وهذه الحرب التي لم تكن واضحة، بل كانت مغلقة، خاصة في مسألة التصفيات والاغتيالات. و أشير إلى أنّه خلال تلك الفترة ظهر نوعين من الكتابة، الأولى التي كُتبت خلال الأحداث، وسجلت ما اقترف من جرائم ضدّ المدنيين. هذا النوع من الكتابه كان تنفيسا عن الخوف والموت وتجاوز لحظة الأزمة ومحاولة استغلال الجراح لتكون مادة جمالية وفنية تجمع بين الشكل الميتافيزيقي والواقع والتوثيق هنا يمكننا القول بان هذه الرواية لم تكتب من منطلق الإدانة، بل كان الهدف هو الحفر في الذاكرة و الذهاب بعيدا في عمق اللحظة التاريخية توظّيفها في الأدب الاستعجالي كما يصفه بعض النقاد ، و لو أنني لست مع هدا التوصيف لأن هذا

الجيل سجل وقائع و لم ينزو على ذاته للتنفيس فقط بل أرخ للحظة، جيل تأثر بأحداث أكتوبر 1988 م ذلك حمل في وجدانه حلم الحداثة والديموقراطية لبناء مجتمع متفتّح، وبعدها ظهر هذا الصراع بين النخب التنويرية التي تؤمن بالتعددية وحرية الرأي وبين الأصوات المتبنية للشرعية الدينية في هذه الفترة، تعزّز التزام المثقف سواء في كتابته الإبداعية أو الصحفية بهذا التوجه التنويري ، ونتيجة ذلك ثار الطرف الآخر واستبيحت الدماء ، فهذه الرواية و غيرها طرحت مأساة شعب بأكمله. وهنا نؤكّد أنّ الرواية لم تكن انتقاما من الآخر، بل هي تحليل لظاهرة العنف عبر تاريخنا.

و إن تحدثنا عن خيانة الوعي وعن الحقد الأعمى، وكيف يتحولان إلى طاقة تدميرية مهولة.. هذا مناطها، وذلك هو مراغها الواسع الذي عليها أن تجوب بما أوتيت من خيال ومعرفة، وما تُسعفها به اللغة من بناء وخلق. بيد أن الحديث عن الوعي لا يتأتى من العجلة والاستعراض السريع للأحداث، وإنما ينشأ عن دراسة عميقة تسبق الفعل الإبداعي ذاته، فليست الكتابة إلا تسجيلا لمعرفة أنشأها التأمل في الموضوع، تأملا يرتفع بها من دوامات الضجيج واللغط إلى سماء التأمل والتأويل. وما ينقص هذه الرواية هو هذه الهدأة التي يخلو فيها الأديب والفنان لموضوعه مدارسة ومجالسة، قد تستمر به الشهور والسنوات . تؤرقه، تتعبه، تذهب بلذيذ نومه، وتهدِّد سعادته، بل كانت نقلا لحالة و وضعية نفسية ، ثم تنتهي إلى فيض من الرؤى يتكشف من خلالها الموضوع في أثواب إبداعية جديد
وكأن النضج المنتظر الذي ستنعم به الرواية لن يتأتى لها إلا بعد انقشاع سحابة العنف، وتجاوز التسجيل الإعلامي للحوادث التي تكتظ بها الصحف والدوريات، بيد أن النصوص الاستعجالية، لم تمر بين يدي القارئ من دون أن تترك بصمتها، وأن تعمل على زرع كثير من المفاهيم والرؤى المغلوطة في الأذهان، خاصة وأن كتَّابها هم من الصحافيين الذي يشتغلون في الحقل الإعلامي، فليس من فرق لديهم بين كتابة المقال اليومي وبين توسيعه ليغدو رواية أو مجموعة قصصية أو شعرية لكن هذا لا يعني أن التسجيل الاستعجالي لا يخدم النص الروائي بل يساهم في بناء النص و لكن وفق لغة فنية و ابداعية جمالية تشد القارئ الذي سيطلع على النص.

وفي كلّ هذا الخضم الذي تشرّب مرارته أبناء الوطن الجزائري ظهرت نخبة من الأدباء والنقاد الذين تناولوا هذه الظاهرة بالوصف والتحليل والنقد في أدبهم ،حيث نجد العديد من الروائيين المتمرسين قد هبّوا إلى سرد العديد من الأعمال الأدبية المكتوبة بالفرنسية تفسر واقعهم ،وصور مشهد الأزمة على محك الترجمة الذي يغلب عليه طابع الأسى والحزن تارة ،والنقد والثورة على الوضع الراهن تارة أخرى ، في ظلّ الفراغ الثقافي التي أحدثته الأزمة من شتات فكري ،وصراع نفسي يتجرع مرارته كلّ ثانية المثقف والمبدع والفنان في انتظار رصاصة غدر تكمم أفواههم للأبد،
فكانت هناك إرهاصات تاريخية للرواية السوداء المكتوبة بالفرنسية

ممّا لاشك فيه أنّه حالما تذكر كلمة " رواية المحنة" أو "رواية العنف" أو "الرواية الإستعجالية" أو "محكيات الإرهاب" أو "الرواية التسعينية" أو "الرواية السوداء" يحدث ربط ذهني منطقي بينهما ، وبين تسعينيات الجزائر أو العشرية السوداء أو عشرية الدّم ذلك أنّ هذا النوع من الأدب ارتبط ظهوره ، ومضمونه بسنوات المحنة الجزائرية إذ اتخذ النّص الروائي المأساة الوطنية التي انفجرت على أكثر من صعيد المادة الخام لبنائه السردي، المأساة الجزائرية التي تعود خلفياتها إلى أحداث (05أكتوبر1988م)،والتي إن لم تدم سوى أيّام إلاّ أن ما تمخّض عنها شكل منعرج وتحوّل هام وغير مسبوق في النظام الجزائري.

الملامح العامة لحركة الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية زمن الأزمة

في ظلّ الأجواء السابقة للذكر، ونظرا لأنّ الأدب يمتد عبر الزمن ليلتقط مادته ،ممّا هو راهن ومتفرّد وظرفي، لينقل بكلّ علوّ وتسام التجربة الواقعية إلى تجربة إبداعية يخالطها جانب أوفر من التخييل، والفنيّة فإنّ ما حدث في جزائر التسعينيات لم يكن ليغري الأديب بالكتابة، بقدر ما كان يجبره عليها ،لأنّها الملاذ الآمن للمثقف آنذاك حين كان من أكثر الرموز استهدافا للتصفية، فراحت الكتابة الروائية تواكب الأزمة، فولّد بذلك نوعا روائيا جديدا تقلّده مجموعة من الكتاب بمجموعة من النصوص الروائية باللّغتين الفرنسية والعربيّة، والتي تصب كلّها وتنبع من الأوضاع المفجعة التي عاشتها الجزائر منذ بداية التسعينيات وانعكاس هذه الأوضاع على مختلف شخوص الوطن في محاولة للبحث عن الحقيقة، وعرضها وفق رؤى متعدّدة، تصل حدّ التناقض في الغالب .

خاتمة /

إن رواية اعترافات زوجة إرهابي من الروايات التي سجلت حضورا مؤثرا لما عرف بأدب العشرية التي مرت بها الجزائر أو ما عرف بالأدب الاستعجالي ، وقد طرحت موضوعا عميقا سجل حالة أنثى وقعت في صراع نفسي بين وهم وواقع نظرا للأجواء الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي رمت بها في دهاليز مظلمة ، فكانت أنموذجا لشخصية المرأة الصابرة والمحتسبة والمتجلدة في هذه الرواية فقد بينت لنا حالة من أصعب الحالات النفسية بأبعادها والتي تقع فيها النفس البشرية وقد حاولت أن أقف أمام تجليات هذه الرواية بتحليل سيكولوجي وفق مفهوم أبعاد الانبساط والانطواء والاتزان وعدم الاتزان ، لأنني نظرت إلى شخصية البطلة (نادية) من زاوية يمكن التوازن بين الجانب العقلي والنفسي والاجتماعي فهي أمور متكاملة ، هذا الاختلال الذي اتسمت به شخصية الإرهابي في الرواية توضح الصراع الذي انعكس على زوجته فكانت الحالة الانتقال من الاتزان إلى عدم الاتزان ، وهذا ما تؤكده نظرية الأنماط المزاجية للطبيب السويسري يونغ ، وعليه فالرواية تعتبر حالة خاصة لكنها عامة في إخراج المكبوت بين الرفض والاعتراف

لدى نفسية المرأة والانهيارات النفسية التي تتعرض لها بين واقعها والواقع المقابل والذي يعتبر مضادا لحالتها النفسية ، هي أزمة نفسية تأتي من المتقابلات والمتناقضات .

الاحالات و التهميش /

1 / ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، تحقيق ، مفيد قميحة ، مراجعة نِعم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1 ، ط2 ، 1985 ، ص 24

2 / محمود السمرة ، في النقد الأدبي ، الدار المتحدة ، بيروت ، ط1 ، 1974 ، ص85

3 / بسام قطوس ، المنهج النفسي في النقد الحديث ، اصدارات مجلس النشر العلمي ، الكويت ، ط 1 ، د- ت ، ص 15

4 / باية بلقاسمي ، اعترافات زوجة ارهابي ، ترجمة : كريمة آيت محند ، منشورات الخبر ، ط 2000، ص10